الفصل الرابع

منهج تحليل المحتوى

obeikandl.com

obeikandl.com

منهج تحليل المحتوي

تحليل المحتوى

بداية يمكن القول بأنّ المحتوى هو نوعية المعارف التي تختار وتنظم على نحو معين وكلمة المعارف هنا كلمة عامة تشير إلى كل ما يمكن تقديمه للمتعلمين من معلومات ومفاهيم ومهارات، وقواعد وقوانين ونظريات، وما يرجى إكسابه للمتعلمين من قيم واتجاهات وميول.

ويعد المحتوى من عناصر المنهج الأساسية التي يمكن من خلالها تحقيق أهدافه لذا فإنّ واضع المنهج تواجهه مشكلة اختيار أنسب محتوى للأهداف الموضوعة من بين كم هائل وكيف متنوع من المعرفة (كمال زيتون،١٩٩٧).

و يدعم هذه الفكرة ما يذكره حمدى عطيفة (١٩٩٦) عن مفهوم المحتوى ،إذ يقول " المحتوى هو كل ما يقوله الفرد أو يكتبه، ليحقق من خلاله أهدافاً اتصالية مع آخرين .. وهو عبارة عن رموز لغوية يتم تنظيمها بطريقة معينة ترتبط بشخصية الفرد (مصدر) وسماته الاجتماعية، فيصبح مظهراً من مظاهر السلوك يميزه عن غيره من الأفراد، ويستهدف جمهوراً محدداً بسماته واحتياجاته واهتماماته، ليدرك ما في المحتوى من معاني وأفكار فيتحقق اللقاء والمشاركة بين المصدر والجمهور" .

أما عن التحليل فهو عملية ملازمة للفكر الإنساني، تستهدف إدراك الأشياء والظاهرات بوضوح، وذلك من خلال عزل عناصرها بعضها عن بعض، ومعرفة خصائص أو سمات هذه العناصر وطبيعة العلاقات التي تقوم بينها. وهذا ما ذهب إليه محمد الهادي (١٩٩٥) في قوله بأن "التحليل هو التجزيء أو التفريع إلى المكونات الأصغر وتحديد العلاقات والتفاعلات والتدفقات وتقويم وتقرير مدى الفاعلية"،

لذا فالتحليل يمثل عملية انتقال من المجهول إلى المعلوم ، لأن البدء يكون بفكرة كلية غامضة، وينتهى إلى عناصر محددة واضحة. وهنا وجه شبه قوى بين الاستقراء والتحليل، لما فى الاستقراء من الانتقال من المجهول إلى المعلوم أى من الظواهر المعقدة إلى القانون الذى يفسرها ومن هنا كان الاستقراء أرقى أنواع التحليل (عبد اللطيف العبد، دت)

(١) تعريف تحليل المحتوى

تنتمى جُل تعريفات تحليل المحتوى إلى مجال العلوم الاتصالية، فتركز على اكتشاف المعاني الكامنة في المحتوى، والعلاقات الارتباطية بهذه المعاني، من خلال البحث الكمي والموضوعي والمنظم للسمات الظاهرة في هذا المحتوى. وبهذا يمكن النظر إلى تحليل المحتوى على أنّه أسلوب فنيّ استقرائيّ يركزعلى تحديد ما تنطوى عليه الرسائل من معان ودلالات كامنة.

فتحليل المحتوى – كما عرفّه جانيس (١٩٤٣) هو "الأسلوب الذي يستخدم في تصنيف وتبويب المادة الإعلامية، ويعتمد أساساً على تقدير الكاتب أو مجموعة الباحثين ويتم بمقتضاه تقسيم المحتوى إلى فئات بالاستناد إلى قواعد واضحة بافتراض أن تقدير القائم بالتحليل يتم على أساس أنه باحث علمي، وتحدد نتائج تحليل المحتوي تكرارات ظهور أو ورود وحدات التحليل في السياق"(محمود اسماعيل، ١٩٩٦). وهذا يعنى أنّ الكاتب المتبنى لهذا المنهج يقوم بتحويل المحتوى من خلال التطبيق الموضوعي والمنظم لقواعد التصنيف – إلى بيانات يمكن تلخيصها ومقارنتها" (محمد مرسي، ١٩٩٤).

وهكذا يمكن التمييز بين اتجاهين رئيسيين لتعريف تحليل المحتوى: الأول هو الاتجاه الوصفي، والذي عاصر فترة النشأة واستمر بعد ذلك، وعنه استعار العديد من الخبراء

والباحثين تعريفهم لتحليل المحتوى وتطبيقه. ويركز أصحاب هذه الاتجاه على هدف الوصف للمحتوى فقط، الذي يتم على الظاهر فقط من هذا المحتوى.

أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه الاستدلالي والذي يتجاوز حدود وصف المحتوى الظاهر، إلى الكشف عن المعاني الكامنة وقراءة ما بين السطور، والاستدلال عن الأبعاد المختلفة لعملية الاتصال. هذا وقد أضاف تحليل المحتوى بمفهومه الحديث طابعاً جديداً للبحوث التحليلية ألا وهو استنباط طريقة محسنة للمعالجة الكمية للمادة البحثية، ومما لا شك فيه أن المعالجة الكمية عنصر ضروري في إجراء البحوث العلمية علي اختلاف ضروبها.

(٢) أهداف تحليل المحتوى

يهدف تحليل المحتوي في الدراسات الإعلامية إلى أمرين أساسيين هما:

١. الكشف عن أهداف ودوافع المرسل.
٢. التعرف على الآثار المتوقعة لمحتوى الرسالة على اتجاهات الرأي العام.

بينما يهدف المنهج التحليلي في علم الاجتماع الي دراسة وسائل الاتصال الجماهيري، وذلك في محاولة لوصف مضمون هذه الوسائل وتقديم بعض الافتراضات عن التغيير الذي يطرأ على هذا المحتوي عبر الوقت والتأثير الذي يمكن أن تمارسه المادة المقدمة على الجمهور الذي يتلقاها. وينبغي أن يتبع الباحثون الاجتماعيون في وصفهم لمضمون عملية الاتصال طريقة منهجية وموضوعية (محمد الجوهري و عبد الله الخريجي، ١٩٨٠).

أما عن البحوث التحليلية فى مجال المناهج و طرق التدريس فتجدر الاشارة إلى أنّ أغلبها يعتمد على جمع المعلومات التي تتعلق بنشاط من النشاطات التربوية، مثل دراسة صلاحية مقرر ما على صف من الصفوف ثم تحليل تلك المعلومات المجموعة لاستخلاص ما

obeikandl.com

يمكن استخلاصه منها لتقرير ذلك المقرر أو تعديله أو استبداله، وكذلك يستخدم المنهج التحليلى في قياس اتجاهات و ميول و قيم المتعلمين نحو الانماط التدريسية المختلفة.

ويمكن القول بأنّ الهدف من إجراء هذا النمط من البحوث في مجال المناهج وطرق التدريس يكمن في واحد أو أكثر من النقاط التالية:

١. اكتشاف أوجه القوة والضعف في الكتب المدرسية والمواد التعليمية التي تستعمل الآن وتقديم أساس لمراجعتها وتعديلها عند الحاجة، وينبغي على الدراسات التي تجرى على هذه الكتب أن تدلنا على أي الموضوعات أكثر قيمة.

٢. تزويد المؤرخين والجغرافيين وغيرهم من العلماء بالفرصة للعمل تعاونياً مع المعلمين ومديري المدارس وقادة العمل الحكومي والعام وذلك لتحسين الكتب المدرسية والمواد التعليمية.

٣. تقديم المساعدة للمؤلفين والمحررين والناشرين في إعداد كتب مدرسية جديدة وذلك بتزويدهم بمبادئ توجيهية والإشارة إلى ما ينبغي تجنبه وما يجب تضمينه.

٤. تقديم مواد مساعدة في عملية مراجعة برامج الدراسة ككل، وفي إعداد المعلمين والإداريين، وفي اختيار الكتب المدرسية والمواد التعليمية.

أما فى مجال أصول التربية فجهود الباحثين منصبة علي استخلاص القيم والمضامين التربوية عند أعلام الفكر والأدب. وتذهب الدراسات التحليلية في علم النفس والصحة النفسية إلى ما وراء الآراء والبيانات المستخلصة لتفسير السلوكيات المرضية واسبابها ودوافعها وسمات أصحابها ومن ثمّ طرح أساليب وبرامج علاجية مناسبة.

(٣) أسس وضوابط استخدام تحليل المحتوى:

يسير تحليل المحتوى – كما يذكر فتح الباب سيد(١٩٨٣) – وفقاً لضوابط محددة جعلت منه طريقة منهجية وموضوعية. هذه الضوابط هي:

١. تحديد أصناف التحليل أو التصنيف الذي يخضع له المحتوى تحديداً واضحاً في معالمه بشكل يمكن الباحثين الآخرين من تطبيقه على نفس المحتوى للتأكد من النتائج التي وصل إليها الكاتب الأول.
٢. ضرورة تصنيف المحتوى المراد تحليله تصنيفاً منهجياً. فليس المحلل حراً في أن يحلل شيئاً من المحتوى ويترك شيئاً آخر إلا وفق هذا المنهج الذي وضعه ويقصد بهذه القاعدة أن ينصب اهتمام الكاتب على المحتوى نفسه وأن يكون استقراؤه شاملاً منبثقاً من طبيعة وخصائص المحتوى.
٣. استخدام بعض الإجراءات الكمية للوصول إلى مقياس لأهمية المفاهيم والقيم الموجودة في المحتوى، ولإمكان مقارنة هذا المحتوى بغيره من المحتويات الأخرى.

(٤) خصائص تحليل المحتوى

تحليل المحتوى – كما يراه مجدي ابراهيم (١٩٨٩) – عبارة عن طريقة لدراسة وتحليل مادة اتصال لفظية أو سمعية أو مرئية أو إشارية بأسلوب منظم وموضوعي وكمي بغرض قياس بعض المتغيرات التي تعكسها المادة الاتصالية موضوع الدراسة. من هنا يمكن تحديد خصائص تحليل المحتوى في عدة نقاط رئيسة هي:

١) أنه أسلوب للوصف

يقصد بهذا الوصف الموضوعي للمحتوى دون إقحام مشاعر القائم بالتحليل أو التعبير عن انطباعاته الخاصة على المحتوي الذي يحلله، أو تفسير هذه المحتوي من وجهة

نظر خاصة لا ينص المؤلف عليها صراحة، ويقتضي ذلك من الكاتب أن يوصف ويصنف المادة التي يحللها إلى فئات مسجلاً لكل فئة خصائصها، مستخرجاً السمات العامة التي تتصف بها ومنتهياً من هذا بتفسير موضوعي دقيق لمضمونها (رشدي طعيمة، ١٩٨٧).

٢) أنه أسلوب موضوعي

الموضوعية صفة أساسية من صفات العمل العلمي ومقوم من مقوماته وتعني النظر إلى الموضوع نفسه دون تأثر بالذات. وتطلق لفظة الموضوعية علي أية أداة من أدوات تحليل المحتوى شريطة أن تتسم هذه الأداة بأمرين أثنين:

١) أنّ هذه الأداة تقيس بكفاءة ما وضعت لقياسه. أي أنها تقوم بتحليل مادة الاتصال وتعرف اتجاهاتها واستخلاص الصفات التي تميز ظواهرها دون أي عمل آخر. أي أنها – بلغة القياس – أداة يتوافر فيها شرط الصدق. وينبغي علي الكاتب – وفقاً لهذا الشرط – أن يقدم مؤشرات إجرائية لفئات التحليل لا يختلف الباحثون بشأنها ويقطع بذلك الطريق أمام الأهواء الذاتية التي تدفع ببعض الباحثين إلى لي ذراع المادة العلمية لتتفق مع ما يطرحونه من توقعات أو يصوغونه من فروض.

٢) أن هذه الأداة يستطيع باحثون أخرون استخدامها في تحليل المحتوى، كما يستطيع الكاتب نفسه معاودة استخدامها لتحليل المادة نفسها. والباحثون في كل هذه الحالات يصلون إلى درجة عالية من الاتفاق بينهم في نتائج هذا التحليل. أي أن الأداة – بلغة القياس أيضاً – يتوافر فيها شرط الثبات.

والموضوعية بهذين الشرطين السابقين كفيلة بأن تعصم الدراسة العلمية من تفاوت التفسيرات الفردية ومن الرؤي الذاتية لبعض الباحثين.

٣) أنه أسلوب منظم:

ويعني التنظيم أن يتم التحليل في ضوء خطة عملية تتضمن وصفاً متكاملاً للإجراءات البحثية والتحليلية، وتحديداً للطرق التي ستتبع في الحصول على المادة العلمية المطلوبة.

٤) أنه أسلوب كمي:

وذلك يعني أن عملية التحليل تعتمد على التقدير الكمي باعتبارها أساساً للدراسة ومنطلقاً للحكم على انتشار الظواهر، حتي أن بعض الباحثين – كما يذكر سمير حسين (١٩٩٦) – يذهبون إلى الحاجة إلى تحليل المحتوي – كأسلوب وأداة تنتفى فى حالة عدم الإجابة على التساؤل البحثى المطروح إجابة كمية. والتعبير الكمي عن مختلف البيانات المتوافرة يتطلب رصد مدى التكرارات المتضمنة في فئات التحليل المختلفة بطريقة رقمية تمكن من التعامل معها إحصائياً.

وعلى الرغم من وضوح أهمية التحليل الكمى والكيفى، إلاّ أنّ بعض الباحثين أثاروا جدلاً حول أولوية كلا النوعين من التحليل ، وما نوع الأسلوب التحليلي الذى يحب أن يستند إليه الكاتب بصفة أساسية فى تحليل المحتوي، هل هو الأسلوب الكمى أم الأسلوب الكيفى؟ والواقع أنّ الأسلوب الكمي والأسلوب الكيفي لتحليل المحتوي أسلوبان متكاملان، فالاعتماد على الكم وحده يعد مظهرية إحصائية، كما أن التحليل الكيفي في غياب الضبط الإحصائي لا يؤدي إلى نتيجة علمية.

(٥) العمومية:

ومعنى ذلك أن يكون هناك مجالا للإفادة من نتائج التحليل في دراسات أخرى وفي أبحاث علمية مستقبلية وأن تكون هذه النتائج قابلة للتعميم. وتجدر الإشارة إلي أنّ هذه

obeikandi.com

الصفة ليست في الواقع وقفاً على طريقة تحليل المحتوى وحدها بل إنها مشتركة مع جميع طرق البحث العلمي (محمد بركات، ١٩٩٣).

(٦) العلمية:

أن تحليل المحتوى أسلوب من أساليب البحث العلمي لا يقل في ذلك قدراً عن غيره من الأساليب، فطالما أن الأسلوب يستهدف الكشف عن العلاقات بين الظواهر، ويضع تعريفات محددة لفئات التحليل، ويتصف بالموضوعية، فإنه بذلك يعد أسلوباً من أساليب البحث العلمي (حمدى عطيفة، ١٩٩٦).

(٥) إجراءات تحليل المحتوي

لأي أداة علمية مجموعة من الخطوات أو المراحل المنهجية التي تصل بها إلى شكلها النهائي الصالح للتطبيق والاستخدام. وكما هو الحال بالنسبة للخلاف حول تعريفات تحليل المحتوي، والخلاف حول كونه أداة أم طريقة أم منهج، فهناك اختلاف أيضاً حول الخطوات المنهجية لتحليل المحتوي. وهذا الخلاف لا يقلل من أهمية تحليل المحتوي و لا يمنعنا من رصد الخطوات التالية:

(١) تحديد مشكلة البحث:

فكما هو الحال في أي دراسة بحثية، فإن عملية تحليل المحتوى رسالة ما يجب أن تبدأ بوجود مشكلة ما يساعد تحليل المحتوى في الوصول إلى حل نهائي لها.

(٢) تحديد مجتمع البحث:

أي المادة أو المواد التي سوف تخضع للدراسة. وهنا قد يتضمن مجتمع البحث مقالات الأعمدة المنشورة بالأهرام والأخبار والجمهورية والوفد والأهالي...خلال فترة زمنية معينة.

(٣) اختيار عينة التحليل:

يحتاج الكاتب في الدراسات المتضمنة في تحليل المحتوى إلى أن يفكر في العينة التي سيخضعها للتحليل، وذلك كما هو الحال مع أي دراسة بحثية أخرى، ونظراً لأنه من الصعب، بل من المستحيل – في بعض الحالات – أن يجري الكاتب تحليلاته على المجتمع الأصلي بأكمله، فإنه يحتاج إلى أن يفكر بعمق في كيفية اختيار عينة تمثل هذا المجتمع الأصلي تمثيلاً صادقاً؛ ولذا فإن على الكاتب أن يسأل نفسه سؤالين أساسيين، هما: ما حجم المجتمع المطلوب تحليله؟ ما هو الحجم الأمثل للعينة التي يمكن سحبها من هذا المجتمع؟

وعلى الرغم من أن أسس اختيار العينة في تحليل المحتوى لا تختلف عن الأسس العامة لاختيار العينات، إلا أن هناك بعض القرارات الخاصة بعملية المعاينة في تحليل المحتوى، فإن هناك ثلاثة مستويات أو مجتمعات – مطلوب سحب عينة من كل منها وهذا المستويات هي:

أ) مستوى المصادر.

ب) مستوى التواريخ أو الأعداد أو الطبعات.

ج) مستوى المحتوى أو مادة التحليل (حمدى عطيفة،١٩٩٦).

(٤) تحديد وحدات التحليل:

يسعى تحليل المحتوى إلى وصف عناصر المحتوى وصفاً كمياً، ولتحقيق ذلك الهدف ينبغي أن يتم تقسيم المحتوى إلى وحدات أو "فئات" أو "عناصر" معينة حتى يمكن القيام بدراسة كل عنصر أو فئة منها، وحساب التكرار الخاص بها.

obeikandl.com

و بهذا يمكن تعريف وحدات التحليل بأنها وحدات المحتوى التي يمكن إخضاعها للعد والقياس بسهولة، ويعطي وجودها أوغيابها أو تكرارها أو إبرازها دلالات تفيد الكاتب في تفسير النتائج الكمية. وتبعاً لأغراض البحث وفروضه، فإن الكاتب يبدأ في تقسيم المحتوى إلى الوحدات القابلة للعد والقياس، أصغرها الكلمة وأكبرها الفكرة.

ويجب أن يفرق الكاتب بين مستويين من وحدات التحليل:

الأول: وحدات التسجيل :

وحدات التسجيل هي أصغر وحدة يظهر من خلالها تكرار الظاهرة. بمعنى آخر، فإن وحدة التسجيل هي أصغر جزء في المحتوى يختاره الكاتب ويخضعه للعد والقياس، ويعبر ظهوره أو غيابه أو تكراره عن دلالة معينة في رسم نتائج التحليل مثل الكلمة أو الجملة أو الفقرة.

الثاني: وحدات السياق

وهي وحدات لغوية داخل المحتوى (جملة/ عبارة/ فقرة/ موضوع) تفيد في التحديد الدقيق لمعاني وحدات التسجيل التي يتم عليها العد والقياس، فهي الوحدات الكبرى لوحدات التسجيل فإن الجملة تصبح وحدة السياق التي يجب قراءتها بعناية، لتحديد مدلول الكلمة وترميزها في المكان الصحيح.

وتجدر الإشارة إلى أن وحدات التحليل سواء استخدمت كوحدة تسجيل أو وحدة سياق، فإنها لن تختلف عن كونها أجزاء من المحتوى يتم عدها وقياسها للاستدلال من خلال النتائج، ولكنها تأخذ هذه المسميات من علاقتها النسبية ببعضها البعض في البناء اللغوي للمحتوى.

obeikandl.com

(٥) العد والقياس

العد والقياس هو المطلب النهائي في عملية الترميز، ويمهد للعرض الإحصائي وعقد المقارنات ودراسة الارتباطات، وتفسير النتائج الكمية المعبرة عن السمات الخاصة بالمحتوى.

(٦) تحديد درجة صدق أداة التحليل:

من المعلوم أنّ هناك أربعة أنواع من الصدق، هي: صدق المحتوى، الصدق التنبؤي الصدق التلازمي، صدق البناء، وأكثر أنواع الصدق استخداماً في تحليل المحتوى هو: صدق المحتوى، والذي يعتمد أساساً على قيام الكاتب بفحص الفئات، لمعرفة مدى اتصالها بأهداف الدراسة، ولا يكتفي الكاتب بفحصه للفئات وإنما يقوم أيضاً بعرضها على عدد من المحكمين؛ لفحصها في ضوء المعايير أو الأهداف المحددة سلفاً (محمود اسماعيل ١٩٩٦).

وهناك شروط أساسية لإقرار صحة أو صدق النتائج الوصفية، وهي : (حمدى عطيفة،١٩٩٦):

١. كفاية تمثيل عينة المصادر، والتأكد من شمولها لكافة المدخلات الخاصة بالفئات والوحدات.
٢. التعريف الدقيق بالفئات والوحدات مع توفر شروط اختيارها، كالاستقلال والشمول ومدى وفائها باحتياجات البحث وأهدافه.
٣. التأكد من شمول استمارات أو بطاقات التحليل لكافة المدخلات الخاصة بالفئات والوحدات.

(٧) تحديد درجة ثبات أداة التحليل:

ويقصد بالثبات – كما هو معلوم – أن تعطي الاستمارة نفس النتائج إذا أعاد الكاتب تطبيقها بعد فترة من الزمن على نفس المحتوي. وأيضاً أن يصل المحللون المختلفون لنفس النتائج عند استخدام تلك الاستمارة على نفس المحتوي أو يكون بينهم نسبة عالية من الاتفاق (محمود اسماعيل، ١٩٩٦).

(٦) مزايا تحليل المحتوي

من مزايا تحليل المحتوي أن هناك إمكانية لإعادة التحليل من خلال باحثين أخرين حيث يمكن تثبيت مادة التحليل، فالصحف والمجلات والكتب موجودة ويمكن حفظها على أفلام. ومواد الراديو والتليفزيون وأفلام السينما يمكن للباحث تسجيلها لتحليلها في أي وقت. ويمكن لباحثين أخرين إعادة تحليل نفس المادة. مما يعطي ثبات ومصداقية لنتائج التحليل، بعكس الأدوات الأخرى كالاستبيان والمقابلة فمن الصعب إجراؤها على نفس العينة مرة أخرى بنفس الظروف (صلاح الفوال، ١٩٨٢).

ومن مزايا تحليل المحتوي أيضاً أنه من أفضل الأدوات التي تعطي معلومات وفيرة يمكن جدولتها وتبويبها ومعالجتها إحصائياً بما يخدم أهداف البحث.

يستطيع الكاتب أن يعاود الاتصال بمصادر بحثه كيفما شاء أو دون قيود أو معوقات. هذا علاوة على إمكانية استعادة مواد الدراسة مرة أخرى لأن معظمها محفوظ في أرشيف أو على أرفف الكتب أو مكتبات الأفلام والبرامج والمواد المذاعة.

من خلال عملية التحليل يمكن التعرف على كيفية تعلم المتعلمين، وما هي المتغيرات أو الظروف التي تؤثر في عملية التعلم؟ وما هي نواحي اختلاف الأفراد بالنسبة لعملية

التعلم..من ثمّ يساعد تحليل المحتوى على زيادة كفاءة المعلم في مواجهة الفروق الفردية بين المتعلمين بوجه خاص، وتحسين العملية التعليمية بوجه عام.

كما يساعد تحليل المحتوي علي تتبع الأنشطة الدراسية واالممارسات اليومية للطلاب ومن ثمّ تحليلها والوقف علي نواحي القصور فيها بغرض تحسينها وتطويرها (جابر عبد الحميد و أحمد كاظم، ١٩٧٨).

obeikandl.com